البيئة وأثرها فى التربية

بقلم الأستاذ عاصم عبد القادر
أستاذ علم النفس بكلية أصول الدين

معنى البيئة وأقسامها :

يراد بالبيئة الانسانية كل ما يحيط بالانسان ، أو كل ماله وجود خارج عن وجوده . وبالنظر إلى البيئة الانسانية نجد أن بعضها داخلى وبعضها خارجى ، فالبيئة الداخلية بالنسبة للانسان تشمل جميع المؤثرات البيئية التى تؤثر فى النطفة من ساعة تكونها إلى أن تصير جنيناً كاملا فوليداً ، وذلك كحالة الأم العامة من صحة أومرض ، وحركة أو سكون ، وجوع أو شبع ، وحرارة أو برودة ، وكأحوال الرحم الخاصة من ضيق أو سعة ، وطول أو عرض ، وحرارة أو برودة . وتشمل البيئة الخارجية كل ما يؤثر فى الانسان من وقت ولادته إلى ساعة موته .

والبيئة إما طبيعية وإما صناعية أو اجتماعية ؛ ويدخل فى الطبيعية جميع المؤثرات التى تعمل عملها فى الانسان باعتباره فرداً تاماً بنفسه ، كالماء والهواء والطعام وطبيعة الأرض والجو .

ويراد بالبيئة الاجتماعية الانسانية كل ما يؤثر فى الانسان باعتباره فرداً من أفراد مجتمع من المجتمعات الخاصة أو العامة ، كالبيت والمدرسة ومحل المهنة والمساجد والمنتديات .

البيئة والوراثة :

لقد كان القدماء من العلماء يرفعون من شان البيئة ، ويعتقدون أن آثارها أظهر من آثار الوراثة فى نمو الأفراد ونشوء الأنواع ، بل إنهم كانوا يعتقدون أنه من المستطاع تحويل الأنواع الحيوانية ، واستبدال بعضها ببعض بإحداث بعض تغييرات فى البيئة . ثم ذهبوا أبعد من ذلك فقالوا بإمكان تحويل المادة اللاعضوية

مادة عضوية أو كائنا حيا بتأثير الظروف الخارجية الملائمة . ولقد قالوا إذا كان من الممكن أن تؤثر البيئة فى الأنواع الحيوانية بتحويل بعضها إلى بعض ، وأن تحول المواد اللاعضوية مواد عضوية فمن الممكن من باب أولى أن تؤثر فى نمو الأفراد إلى حد أبعد . ولا يزال فريق من العلماء يعتقدون أن لون البشرة الانسانية يرجع إلى مقدار شدة الضوء ، وأن طول القامة أو قصرها يتوقف على مقدار كمية الطعام وكيفيته ، وأن نوع الجنين إن ذكراً أو أنثى يتحدد بطعام الأم ودرجة حرارة الرحم ، وأن التربية تحدد العقلية فتزيد فيها أو تنقص منها ، وأن جميع مميزات الأفراد على العموم ترجع إلى اختلاف البيئات .

***

وقد كان تيار الفلسفة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر متجها نحو هذه العقيدة ، مائلا إلى القول بأن الانسان ابن عاداته ، خاضع لبيئته وتربيته ، وأن الناس يولدون سواسية وإنما يختلف بعضهم عن بعض باختلاف الظروف والفرص التى تصادفهم فى حياتهم .

ويؤخذ من بعض أقوال الغزالى أنه كان يميل إلى هذا الرأى ؛ إذ أنه يصف الطفل بأنه جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه » .

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا خاصاً يبرهن فيه على صحة هذه النظرية .

ويبدأ ديكارت مقالته الشهيرة عن « الطريقة » بكلام معناه : « أن الفكر الجيد أكثر الأشياء توزعاً على الناس توزعا عادلا ، وأن اختلافنا فى الرأى ليس ناشئا عن أن بعضنا منح من العقل نصيبا أوفر من نصيب البعض الآخر ، وإنما ينشأ هذا الاختلاف عن أننا نسلك بأفكارنا مسالك مختلفة ، ولا نتجه بأفكارنا نحو غايات متحدة » .

ويعتبر روسو وجون لك وآدم سمث من المذيعين لهذا الرأى ، ولم يكن اعلان استقلال الولايات المتحدة الا ممثلا « لروح العصر » الذى أعلن فيه ، فلقد كانت الفكرة السائدة فى ذلك الوقت « أن جميع الناس فى الخلقة والاستعدادات

سواسية ، وكانت هذه الفكرة دائما أساس الديمقراطية ، والمبدأ الأساسى لانشاء الحكومات الشعبية الممثلة للرعية ، كما كانت الحافز الأكبر لوجوب نشر التربية بين طبقات الناس على السواء ، ولدعوة الناس جميعا من الملوك إلى الصعاليك ـ إلى اتباع دين من الأديان .

ولم يكن يفهم من من معنى الحضارة إلا تحسين البيئة ، ولا من التقدم فى الحضارة إلا التقدم فى إصلاح البيئة .

ولم يزل الناس يرفعون من شأن البيئة ويهملون أمر الوراثة إلى أن جاء العصر الحاضر بخيره وشره ، وانتشرت العلوم الاجتماعية ، واتسع نطاق المباحث والتجارب الانسانية ، ودرس العلماء أحوال الأسرات وتاريخ حياتها وحياة الأفراد المنتمين إلى كل منها . وبهذه الدراسات المختلفة أدرك علماء العصر أهمية الوراثة ومنزلتها وآثارها فى نمو الأفراد والنوع معا ، ولم يَعُد أحد يعتقد اعتقادا جديا أن من المستطاع تحويل المادة اللاعضوية مادة حية باحداث تغيرات فى البيئة .

وبكثرة تجارب البيولوجية فى السنوات الأخيرة أخذت عقيدة المتقدمين فى منزلة البيئة فى التدهور ، وصار العلماء يقرنون البيئة بالوراثة فى هذا الصدد ، فاعترفوا بمنزلة كل منهما فى نمو الأفراد والأنواع وتوصلوا إلى القول الفصل فى ذلك وهو : « أن الوراثة المسئولة عن القوى الكامنة فى الخلايا التناسلية ، وأن البيئة مسئولة عن اخراج تلك القوى من عالم القوة إلى عالم الفعل ، ثم تنميتها إلى الحد الذى تصل إليه من حدود النمو » .

وإذاً ليس من المعاصرين من ينكر أثر البيئة فى تكييف قوى الأفراد ؛ وربما كانت حالة الولد الذئبي أكبر برهان على ماللبيئة من أثر فى التربية

وبيان ذلك أن فى المقاطعات الشمالية الغربية من بلاد الهند غابات تأوى إليها الذئاب ، وهذه الذئاب تغير على السكان المجاورين لهذه الغابات فتختطف أولادهم ، وتقضى على حياتهم ، ولكنها مع ذلك تشفق على بعضهم وتبقى عليهم وتتعهدهم كما تتعهد أولادها .

ولما عرف بعض محبي الانسانية الأماكن التى تأوى إليها هذه الذئاب خاطروا بأنفسهم ، وذهبوا اليها رغبة فى إنقاذ مايمكن إنقاذه من هؤلاء الأولاد . هناك عثروا على بعض الأولاد وهم على قيد الحياة فانتشلوهم ، واختطفوهم اختطافا من أيدى هذه الذئاب بعد الجهاد العنيف . ويسمى هؤلاء المساكين بالأولاد الوحشيين (Wild Boys) أو أولاد الذئاب (Wolf Boys) .

ومن المشاهد أن هؤلاء الأولاد يسلكون مسلك الذئاب، فيقلدونها فى أصواتها، ويأكلون كما تأكل الحيوانات المفترسة آكلة اللحوم ، ويمزقون ملابسهم قطعا ، ويميلون إلى العزلة والالتجاء إلى الأماكن المظلمة ، ويربضون ربضة الذئاب سواء بسواء . وقد حاول الناس أن يربوهم أو يعلموهم أن يتكلموا، أو يعملوا كما يعمل بنو الانسان ، ويعودوهم الحياة الإنسانية ، فلم يفلحوا .

وكل ما أمكن عمله معهم هو تعويدهم الطاعة ، وتعليمهم كيف يحدثون أصواتا خاصة ، يعبرون بها عن أغراضهم ، أو عما يشعرون به من ألم أو سرور أو راحة أو غضب .

ولقد ذكر الأستاذ **فرنتين بول** صاحب كتاب « الحياة فى أدغال الهند » (١) فى وصف أحد هؤلاء الأولاد المسمى سنيخار (الذى عثر عليه بعض الهنود فى كهف فحملوه إلى أحد ملاجىء الأيتام فى ٤ من فبراير سنة ١٨٦٧) ما يأتى :

لقد كانت تظهر عليه علامات العته ، التى يشاهدها الإنسان فى المعتوهين العاديين، كانخفاض الجبهة . والقلق والاضطراب فى الحركات والسكنات . وكثيرا ما كان يكشر عن أنيابه كما يفعل الحيوان المفترس ، لا كما يفعل الإنسان عند الغضب ، وكان أثر ذلك يشتد إذا صحب الكشر حركات عصبية فى الفك الأسفل . وكان يعتمد فى تعرف الأشياء على حاسة الشم أكثر من اعتماده على حاسة الذوق ، مشابها فى ذلك الوحوش من الحيوان . ولم يكن من الممكن استمراره فى أى عمل بدون مراقبة شديدة مستمرة ؛ فكان مثلا يحمل سلة ، ولا يزال يحملها مادام

(١) Jungle Life in India by Prof .V. Ball.

هناك من يراقبه ، فإذا انتهت المراقبة أسقط السلة من يده بلا ريث . وكان طول ذراعه نحو ٧٤ سنتيمترا مما يدل على أنه كان يمشى على أربع . ولم يستطع المشى على رجليه إلا بعد بضعة أشهر . وكان إذا مشى يقف وقفات فجائية ، ويسير سير المتعثر بأذياله . وكان دائما يحرك رأسه بسرعة يمنة ويسرة ، ويحدق بنظره ، كأنما يترقب هجمة عدو مخيف .

وقد ظلت هذه حاله حتى قضى نحبه سنة ١٨٩٦ ـ هذا وقد قام علماء البيولوجيا بتجارب مختلفة على الخلايا التناسلية قبل التلقيح وبعده ، وعلى أجنة لحيوانات مختلفة فى أدوار نموها وبعدها ، فوصلوا إلى نتائج خطيرة ، كلها تشهد بما للبيئة من آثار فى حال الحيوان قوة وضعفا .

وقد ذكر الأستاذ « كُنكلين » فى كتابه القيم المسمى « الوراثة والبيئة (١) » أمثلة كثيرة لما تقدم ، وقال فى أثناء كلامه على المؤثرات الصناعية التى تؤثر فى خلايا التناسل أو فى الجنين : « إن العلماء باتباعهم الطرق المختلفة ، وبإحداث تغيرات فى البيئة الخارجية ، استطاعوا أن يصلوا إلى نتائج غريبة ، منها : تكون حيوانات يصير ظاهرها باطنها ، وداخلها خارجها ، وجانبها الأيسر جانبها الأيمن ، وحيوانات أخرى ينقصها الرأس ، أو الجهاز العصبى ، أو العضلات ، أو العمود الفقرى ، وحيوانات أعضاؤها فى غير مواضعها الطبيعية .

وقد أمكن ـ فيما أمكن ـ الحصول على أجنة مزدوجة ، وأخرى جزئية غير كاملة ، وعلى أقزام قصار قصرا ظاهرا ، أو على عمالقة طوال طولا مفرطا » .

البيئة الطبيعية والكائن الحى :

إن هذه التغيرات التى ذكرناها آنفا ترجع إلى مؤثرات مصطنعة مؤقتة ، أما تلك التى ترجع إلى مؤثرات طبيعية دائمة فكثيرة محسوسة مشاهدة ، وكلها ترجع إلى قانون يسمى قانون البيئة ، ومواده : « أن الكائن الحى لابد أن يعد نفسه للبقاء فى بيئته ، أى أنه لابد أن يعدل من سلوكه وأحواله العامة إذا تغيرت بيئته ، كى يقدر على الحياة فيها » .

(١) Heredity and Environment, by E. G. Conclin.

وهذا التعديل أو التغيير يحصل بطريقة سماها دارون : « المجاهدة فى سبيل الحياة » أو مايسمى أحيانا : « تنازع البقاء » (Struggle for Existence.)

وفى هذا المعنى يقول هربرت سبنسر : « إن معنى الحياة تغير مستمر فى العلاقات والأحوال الداخلية ، لمناسبة العلاقات والأحوال الخارجية » ؛ أى أن حياة الكائن الحى لا تكون إلا بوجود رابطة تتفق مع أحوال ذلك الكائن الداخلية وأحواله الخارجية ، أو بعبارة أوضح : لابد أن يكون الكائن الحى مستعدا لمكافحة الأحوال الخارجية كى يستطيع البقاء فى بيئته الخارجية ، لأنه - إذا لم يستطع مقاومة تلك الأحوال ، ولم يتهيأ له تغييرها - لامحالة يضعف ، ثم ينقرض فى سبيل تنازع البقاء .

ومن هنا يتبين لك أن هناك علاقة بين الكائن الحى وبيئته ؛ فهى تؤثر فيه ، وقد يؤثر هو فيها ، وتكون النتيجة أن يحصل بينهما تماثل وتشابه .

البيئة ومذهب النشوء :

وهذا القانون السابق الذى قد يسمى قانون الإعداد (Law of Adaptation) أى إعداد الكائن الحى لبيئته ، هو القانون المسئول فى رأى دارون وأشياعه عن النشوء والارتقاء فى تكوين الكائن الحى ، وفى تنوع الأنواع ؛ فان هؤلاء يقولون : إن المادة الحية كانت فى أول الأمر بسيطة تكاد تكون مؤلفة من نوع واحد ، له خاصة واحدة واحدة هى الحياة فقط ، وبمرور الزمن تغيرت هذه المادة بتأثير البيئة ، وكلما زاد تأثير البيئة فى تلك المادة زاد تغيرها وازدادت تعقدا وتركبا ، فحدث مايسمى فى عرف البيولوجيين بالتخصص أو التميز (Differentiation) أى أن كل جزء من أجزاء تلك المادة الحية المركبة يأخذ فى أن يتميز عن غيره ، ويتخصص بعمل خاص ، بالإضافة إلى كونه جزءا لايتجزأ من ذلك الكل الذى هو الكائن الحى . أما الأجزاء الزائدة على حاجة الكائن الحى أو المضرة بوجوده فانها تضعف ثم تنقرض وفق قانون : « الزوال أو الانقراض » (Extirminatin).

أثر الكائن الحى فى بيئته :

قلنا إن هناك علاقة مزدوجة بين الكائن الحى وبيئته . وقد تبين لك أثر البيئة فى الكائن الحى ، أما العكس — أى أثر الكائن الحى فى البيئة — فمحدود جداً بالنسبة للنبات وغير الانسان من أنواع الحيوان . مثال ذلك فى النبات : أن يخرج الأكسوجين بتأثير الخضير (١) فيلطف الهواء ؛ ويقلل ما فيه من ثانى أوكسيد الكربون ، وفى الحيوان : أن تبنى الطيور أوكارها ، وتختار الأسماك أوطانها ، وأن تخرج بعض الحيوانات والحشرات روائح كريهة تعكر صفو الجو .

أما تأثير الانسان فى بيئته فظاهر ، إذ هو الذى سخر لنفسه البيئة ، وأخضعها لارادته ، وجعلها طوع مشيئته ، فشق فى الجبال طرقا ، وركب متن الهواء ، وغاص فى الماء ، وتسرب إلى مسابح الأسماك ، وانتفع بالطبيعة وما فيها من عناصر ، وتجلت إرادته وسيطرته على بيئته فى كل ماترى من مظاهر الحضارة التى لا تحصى ، ومن ذا الذى يعرف مدى هذه الارادة البشرية ، أو يستطيع أن يتنبأ بمصير هذه المساعى الانسانية ؟ .

مشابهة الحيوان لبيئته :

مما لا شك فيه إذاً أن الكائن الحى يؤثر فى بيئته ، كما أنه من البين أنها تؤثر فيه إلى حد أبعد . وقد قلنا إنه ينشأ عن ذلك التأثير المزدوج حدوث توافق بين الطرفين قد يؤدى إلى مشابهة الكائن الحى لبيئته ، وهذه الحقيقة أشد ظهورا فى أنواع الحيوان الدنيا .

انظر إلى بعض الطيور تجد لون أجنحتها يشبه لون أوكارها . ثم اعتبر ذلك فى بعض الحيوانات تجد أن لها فراء يتغير لونها بتغير لون الجو ؛ فالحيوانات القطبية لها فراء بيض ، وبعض الأرانب التى تسكن الجهات الجليدية يكون لونها فى الصيف غيره فى الشتاء . ويعلل العلماء ذلك بأن الحيوانات الضعيفة لكى تعيش

(١) الخضير : لفظ وضعه مجمع اللغة العربية الملكى للمادة الخضراء فى النبات التى تسمى (Chlorophyl)

هادئة مطمئنة تتلون بلون بيئتها ، فيخفى موضعها على أعدائها ، ويشكل عليها أمرها فتكفى شرها . ولذا يسمون هذه المشابهة بالمشابهة الدفاعية (Protective Mimicy) إذ بها يدافع الحيوان عن نفسه دفاعا سلبيا سلبيا .

ومشابهة الكائن الحى لبيئته بالطريقة التى شرحناها تضعف كلما ارتقت مرتبة الحيوان حتى تصل إلى مرتبة الانسان فلا نجد مشابهة ظاهرة بين بنى الانسان وبين بيئتهم إلى الحد المذكور . غير أننا نشاهد ما للبيئة الطبيعية من أثار فى جسم الانسان وعقله وخلقه : فأهل البدو وسكان الجبال وسواحل البحار أقرب إلى الشجاعة من غيرهم ، وسكان المناطق الحارة أقرب إلى الكسل والتهيج الانفعالى من سكان المناطق المعتدلة والجهات الشمالية الباردة . وللضوء والطعام وهواء المكان وسعته المكان وطبيعة الأرض والموقع الجغرافى آثار فعالة فى سلوك الانسان. ولا داعى للاطالة فى بيان تلك الآثار التى أصبحت معروفة لا يمكن إنكارها ولا ينبغى لأحد أن يجهلها .

عناصر البيئة الاجتماعية :

كما يتأثر الانسان ببيئته الطبيعية كذلك يتأثر ببيئته الاجتماعية التى تشمل البيت والمدرسة ومحل العمل والمجتمعات العامة كالمساجد والكنائس والحدائق والأندية والمقاهى ودور اللهو واللعب . والعوامل الاجتماعية التى تؤثر فى أخلاق الانسان وسلوكه هى الآداب المنزلية وتقاليد الأسرة ، والنظم والقوانين والآداب والعلوم المدرسية ، وقوانين المهنة ونظم الزمالة ، والقوانين الحكومية ، والدين وتعاليمه .

فالمنزل هو الركن الأول للحضارة ، ونواة المجتمع الأصلية التى تظهر فيها المواهب الخلقية والعقلية والاستعدادات الجسمية بصورة مصغرة . تلك المواهب والاستعدادات التى تنمو وتترعرع ويطيب زرعها وينضج ثمرها فى مستقبل الحياة

والمدرسة هى فى الحقيقة بيت ثان واسع النطاق ، وهى مثله بيئة من البيئات الاجتماعية ، غير أنها خاضعة لأنظمة متشعبة ، وقواعد اجتماعية متعددة تحدد علاقة الطفل أو التلميذ أو الطالب بغيره من أمثاله وبأمثاله وبأساتيذه

وبرئيس الهيئة المسئول عن نظامها مباشرة . وفى المدرسة يقوم المدرس مقام الوالد فى رعاية شئون تلامذته .

والمهنة هى الميدان الكبير الذى يظهر فيه المرء ، وتعطى فيه الفرصة لمواهبه التى اكتسبها منذ الصغر ونماها بالتعلم والتجارب ، ويطلق لها العنان كى تعمل وتؤتى أكلها ، وتؤدى قسطها الواجب عليها نحو صاحبها ونحو بنى جنسه .

وإن المرء لا يستطيع أن يقوم بمهنته حق القيام إلا إذا كانت هناك حكومة تحميه وتمكنه من أداء الواجب عليه وهو آمن مطمئن .

والعامل المسيطر على هذه العوامل الأربعة هو الدين الذى هو الرقيب الأكبر الذى يدلنا على العلاقة الصحيحة التى يجب أن تكون بين الانسان وبنى جنسه ، وبين الخلق وخالقهم .

وكل من هذه العوامل يقوى نوعا من أنواع الروابط الاجتماعية التى تربط الانسان بمن حوله من مهده إلى لحده . وهى على الترتيب السابق فى التأثير .

فى البيت تظهر علاقة الانسان بأبيه وأمه وإخوته وبقية أفراد أسرته . وفى المدرسة تتسع دائرة حياته الاجتماعية ، وتظهر روابط كثيرة بينه وبين من معه ، أهمها رابطته بأساتذته ، ورابطته باخوانه التلاميذ بمدرسته أو بغيرها ، ورابطته برئيس مدرسته . والمهنة تسبب للانسان علاقات جديدة ، وتربطه بأشخاص آخرين ، هم إخوانه فى المهنة وأعوانه على اتقانها وإعلاء شأنها . والحكومة تحدد علاقة الانسان بالمجتمع الذى يعيش فيه على العموم سواء أكان بالبيت أم بالمدرسة أم خارجهما .

أما الدين فانه يبين علاقة الانسان بسكان هذا العالم وواجبه نحوهم ، كما أنه يبين علاقته بخالقه والواجب عليه نحوه . وهذه أكبر العلاقات وأوسعها نطاقا وأعظمها منزلة .

على أن لكل من هذه العوامل ميزة خاصة . وفكرة أساسية عليها يرتكز ، وهى التى تبرر وجوده وتعد مقياساً لمقدار تقدمه فى عمله ونجاحه فى العمل على ترقية شؤون الفرد وتقدم الحياة العامة .

فعماد الحياة المنزلية الطاعة ، التى يجب أن يسعى المربى لجعلها عادة من عادات

الطفل بالطرق المشروعة ، وطاعة الطفل لولى أمره المحب له ، الذى ينتهج سبيل الصواب فى تولى شؤونه ضرورية جداً لبناء المجتمع ، لازمة جدا لتأسيس الحياة الاجتماعية الخلقية على أساس متين ، إذ لولا الطاعة المعقولة ما قامت المدنية ، وما سار المجتمع الانسانى فى طريق التقدم . فأكبر مساعدة يقدمها البيت للمجتمع الانسانى العام هى أخذ الناشئين بالطاعة ، التى هى ركن الفضيلة الركين ، وأساسها المتين .

والعمل الأساسى الذى تقوم به المدرسة هو التنمية التى بدونها لا يكون لوجود المدرسة أى مبرر ، ولا لتأسيسها أى فائدة . ويقصد بالتنمية :

(١) تقوية الجسم بحيث يكون خاضعاً لاشارة العقل معبراً عن إرادته .

(٢) تربية العقل بحيث يكون المسيطر على الجسم المسير له ، الضابط لحركاته وسكناته ، والمصدر الأساس للرغبات القويمة والميول الرشيدة .

(٣) تقويم الأخلاق وجعلها بحيث توجه الجسم والعقل إلى النواحى الصالحة .

والمبدأ الأساسى الذى لا تنهض المهنة بدونه هو مبدأ التعاون والتآزر ، الذى لولاه لفقد الانسان الركن الأساسى للمدنية ، بل لفقد الأساس نفسه ، وما كانت له منزلة ولا قيمة تذكر فى هذه الحياة ، فالانسان المتمدين عاجز عن أداء كل ما يحتاج اليه ، والقيام بكل ما يتطلبه وتتطلبه حياته المتشعبة النواحى ، المتعددة الأغراض ، ولا يستطيع كل فرد أن ينتفع بكل ما تخرجه يده ، بل إنه محتاج إلى مساعدة غيره . فحاجة الانسان إلى غيره مزدوجة ؛ إذ أنه فى حاجة إلى مساعدة الناس ، من حيث كونه مستهلكا ومن حيث كونه منتجا مخرجا . وكل إنسان فى هذه الحياة منتج ومستهلك ، ومعط وآخذ وخادم ومخدوم . وهذا الأصل الذى يسمى أحيانا توزيع الأعمال ، (Division of Labour) هو الأصل الأساسى للعمران ، والسبب الرئيسى فى تقدم المجتمع ونظامه . والغاية التى يجب أن تسعى نحوها الحكومة هى انتشار العدل بين الرعية ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وإثابة المحسن ، ومعاقبة المسىء ، والأخذ من الظالم للمظلوم ، ومن القوى للضعيف ، حتى يؤدى كل

واجباته ، ويتمتع بحقوقه . فالعدل هو أساس التشريع ، ووضع القوانين ، وإقامتها بين الناس هو أكبر داع لوجود الحكومات .

والفكرة المركزية التى يدور حولها الدين هى الخضوع لارادة الله تعالى التى هى فوق كل إرادة فى جميع الظروف والأحوال ، تلك الارادة العليا التى تحدد علاقة المرء بغيره من أبناء جنسه وبخالقه الأكبر جل وعلا ، إرادة فوق القانون البشرى تأمر الناس أن يعامل بعضهم بعضا بالرأفة والمحبة والعطف ، أو بالعدل على الأقل ، وتدعوهم إلى العمل للدنيا والآخرة سراً وعلانية ، وتحثهم على خوف الله قبل خوف القانون البشرى ، وعلى النظر إلى الحياة المادية البحت نظرة احتقار وازدراء ، حتى لا يتهافتوا عليها ولا يتغاضوا عن الفضيلة فى سبيل الاستمتاع بها .

عامر عبد القادر

— ١٣ —

قال رجل : يا رسول الله ، إن لى جارا يؤذينى ؛ فقال : انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق . فانطلق فأخرج متاعه ، فاجتمع الناس عليه فقالوا : ما شأنك ؟ قال : لى جار يؤذينى ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق . فجعلوا يقولون : اللهم العنه ! اللهم أخزه ! فبلغه فأتاه فقال : ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك .